مدينة وليلي وقبيلة أوربة من خلال الأدب التاريخي المغربي

سيدي محمد العيوض
المدرسة العليا للأساتذة - الرباط

عكست المصادر العربية[1] اختلافا وتضاربا رافقا مسألة تحديد معنى وليلي، وتسحب هذه المسألة كذلك على تأسيس المدينة، إذ تأرجحت الآراء بين قائل من إنشاء الرومان، وبين قائل بأنها مدينة أولية[2]، وبين من نسبها إلى الأقباط[3].

وبالإطلاع على هذه المصادر تقف على اختلاف أصحابها في رسم اسم المدينة، إذ تكتب تارة وليلة وتارة أخرى وليلى وثالثة وليلي.

---

(1) أشكر الأستاذ محمد لغرايب على المساعدة التي قدم لي في مراجعة بعض النصوص.

(2) كما ورد عند أبي عبيد الله البكري، **المسالك والممالك**، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت. ص. 118، ومحمد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، الطبعة الثانية، 1984، ص. 120، ومجهول **الاستبصار في عجائب الأمصار**، الإسكندرية، 1958 ، ص. 194، وابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، 1950، الجزء الأول، ص. 21، والوزان الحسن بن محمد (ليون الإفريقي)، **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والنشر، الطبعة الثانية، الرباط، 1983، الجزء الأول، ص. 228، ومارمول كربخال، **إفريقيا** ترجمة محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بن جلون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1984، ص. 182.

(3) أورد علي الجزنائي ما يلي «... وهذه البلدة قديمة البناء، يذكر أنها من بناء القبط وهي المعروفة بقصر فرعون من أرض أولاد تعلو الأوربيين، وهي متوسطة بين العمارات خصبة كثيرة المياه والغروس والزيتون، وكان لها سور عظيم قد بقي بعضه : علي الجزنائي، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، الرباط، 1991، ص. 12.

ولفهم أوضح لتاريخ هذه المدينة يبدو من الضروري استعراض ذكرها في المصادر، ومناقشة ما ورد في شأنها من آراء، ومقارنتها بكل ما يمكن التوصل إليه من خلال قراءتنا في كتب الجغرافيا القديمة والطبونيميا المحلية.

يعتبر إبن خردادبه (ت. حوال 300هـ) أول من أشار إلى المدينة، فقد ألمع إليها وصنفها ضمن المدن المتوسطة «... وفي يديه وليلة ومدركة ومتروكة ومدينة زقور وغزة وغميرة والحاجر وتاجراجرا...»[4]. ويضيف في جهة أخرى «... ووراء تاهرت مسيرة أربعة وعشرين يوما بلد المعتزلة... والمستولي عليها في هذا الوقت ولد محمد بن إدريس بن عبد الله... وكان محمد ينزل وليلة وهي آخر مدائن طنجة فمات بها، فانتقل ولده إلى فاس وهم بها إلى هذا الوقت...»[5].

واعتبرها ابن الفقيه (ت. 340هـ) عاصمة طنجة خلال فترة إسحاق بن عبد الحميد الأوربي «... قالوا وبلاد طنجة مدينتها وليلة والغالب عليها المعتزلة وعميدهم إسحاق بن محمد بن عبد الحميد وهو صاحب إدريس بن إدريس وإدريس موافق له...»[6].

وقد تحدث البكري (ت. 460هـ) عن مدينتين باسم وليلة طنجة ووليلي[7] «... وكان نزول إدريس عند دخوله المغرب بوليلي، ووليلي وهي طنجة بالبربرية. وذكر محمد أن وليلي على مسافة يوم من فاس، وفيها مات إدريس بن إدريس، فهذه غير طنجة، وهي بغربي مدينة فاس مدينة عظيمة أولية....»[8]. في هذا السياق نشير إلى أن وليلي لم ترد عند ابن حوقل (ت. النصف الثاني من القرن الرابع الهجري).

(4) ابن خرداد به (أبو القاسم عبد الله بن عبد الله)، **المسالك والممالك**، ليدن، 1306هـ، ص. 89.

(5) نفسه، ص. 266.

(6) ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد)، **مختصر كتاب البلدان**، ليدن، 1302هـ، ص. 64.

(7) انظر حول هذه النقطة ما أوردته الباحثة :

GHAZI-BEN MAISSA (H.), Image ou mirage de la Tingitane à travers les sources arabes médiévales, dans actes du colloque de Africa Romana, XIV, 2002, p. 2185-2266.

(8) أبي عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب جزء من كتاب **المسالك والممالك**، باريس، 1965، ص. 118.

وأشار ياقوت الحمري (ت. 636هـ) إلى وليلى على أنها : «مدينة بالمغرب قرب طنجة، لما دخل إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، المغرب ناجيا من وقعة فخ حصل بها في سنة 172... وأقام بها إلى أن مات مسموما...»[9].

ويتحدث المؤلف المجهول عنها كمدينة رومانية تحمل اليوم اسم تيسرة «... وسار [الغلام راشد] به [إدريس الأول] إلى بلاد البربر حتى انتهى إلى بلاد فاس وطنجة، فنزل به في مدينة وليلي وكانت مدينة رومية قديمة بطرف جبل زرهون في الغرب منه، وتسمى الآن تيسرة...»[10].

واكتفى ابن الآبار (ت. 652هـ) بذكر المدينة ضمن حدث وصول إدريس بن عبد الله إلى المغرب «... أن إدريس بن عبد الله دخل المغرب سنة اثنتين وسبعين في شهر رمضان هاربا من أبي جعفر، فنزل موضعا يقال له «وليلى» بوادي الزيتون...»[11].

وفي نفس المعنى أورد ابن سعيد الغرناطي (ت. 673هـ)، أن هذه المدينة كانت عاصمة المغرب خلال الفترة ما قبل الإسلامية[12].

واعتبرها ابن عذاري (ت. نهاية القرن السابع الهجري) مدينة أزلية «... وكانت مدينة أزلية وبها مات إدريس...» ثم يضيف... «فوقع [أي إدريس] بمدينة وليلة من أرض طنجة فاستجاب له من بها من قبائل البربر...»[13].

(9) ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله الحموي الرومي البغدادي)، معجم البلدان، بيروت، 1986، المجلد الخامس، ص. 384.

(10) مجهول الاستبصار، ص. 194.

(11) ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي القضاعي)، كتاب الحلة السيراء، الطبعة الأولى، القاهرة، 1963، الجزء الأول، ص ص. 54-55.

(12) ورد عند :
FAGNAN (E.), *Extraits inédits relatifs au Maroc*, trad. de l'arabe et annotés par Fagnan (E.), Alger, 1924, p. 13.

(13) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، الجزء الأول، ص. 22.

وبالرجوع لابن أبي زرع (ت. 720هـ) نجده يتحدث عنها كمدينة متوسطة «كانت وليلي متوسطة خصبة كثيرة المياه والغروس والزيتون وكان لها سور عظيم من بنيان الأوائل، فنزل بها إدريس رضي الله عنه على صاحبها عبد المجيد المعتزلي...»[14] أما ابن خلدون (ت. 808هـ). فقد ذكرها بمناسبة فرار إدريس من وقعة فخ «ولحق إدريس بالمغرب الأقصى هو ومولاه راشد، ونزل بوليلي...»[15] ويضيف في مكان آخر وهو يتحدث عن حملة عقبة بن نافع «... ودخل المغرب الأقصى وأطاعته غمارة وأميرهم يليان، ثم أجاز إلى وليل وجبل درن...»[16].

وتنطبق نفس الملاحظة بالنسبة للسان الدين بن الخطيب (ت. 776) «... وكان لحاق إدريس المغرب في شهر ربيع الأول من سنة إثنين وسبعين ومائة ونزل على رجل يسمى عبد المجيد الأوربي ومن شيوخ وليلي من أ[و]از جبل زرهون...»[17].

ويضيف الحميري (ت. القرن التاسع الهجري) قائلا: «... وليلي مدينة بالمغرب بطرف جبل زرهون، مدينة رومية...»[18].

ويرد عند ابن غازي العثماني (ت. 989هـ) «... وكانت البلاد قبل فتحها ديار كفر مجوس ونصارى، وحاضرتها آنذاك مدينة يقال لها وليلي، سميت باسم ملكها وليلي، وءاثارها عظيمة باقية لهذا العهد بأرض خيبر من ناحية جبل زرهون تعرف اليوم بقصر فرعون...»[19].

أما خلال القرن السادس عشر وما بعده فسيعرف إسم المدينة تطورا، إذ وردت بإسم آخر في عدد من المصادر فقد تحدث عنها الحسن الوزان (ت. بعد عام

(14) ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، الرباط، 1999، ص ص. 21 و22.

(15) عبد الرحمان بن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب اللبناني، 1958، الجزء الرابع، ص. 24.

(16) نفسه، الجزء السادس، ص. 217.

(17) لسان الدين بن الخطيب، **أعمال الأعلام**، تحقيق العبادي، الدار البيضاء، 1964، ص. 190.

(18) محمد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار**، ن.م.، ص. 609.

(19) ابن غازي العثماني (أبو عبد الله محمد)، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، الرباط، 1988، ص. 13.

957هـ). ومارمول كاربخال (ت. بعد عام 966هـ) باسم قصر فرعون[20]، وإن كانا قد أشارا إلى مدينتين تحمل الأولى إسم وليلي والثانية قصر فرعون.

أورد الحسن الوزان ما يلي «... وليلي مدينة أسسها الرومان على قمة هذا الجبل عندما كانوا يحكمون بلاد الأندلس، وهي كلها محاطة بسور من حجر منحوت، تخترقه أبواب عالية عريضة، ويرتفع بنحو ستة أميال من الأرض، وقد خرب الأفارقة هذه المدينة كلها تقريبا في زمن قديم، إلا أن إدريس الشيعي لما قدم إلى هذه المنطقة، سارع إلى ترميم المدينة واستقر فيها، فأصبحت في زمن قليل مدينة متحضرة يقصدها الناس بكثرة، لكن بعد موت إدريس هجرها ابنه وراح يبني مدينة فاس كما ذكرناه، ومع ذلك دفن فيها إدريس...» ويضيف متحدثا عن المدينة الثانية : [21] «... قصر فرعون مدينة صغيرة قديمة أسسها الرومان على مسافة تقل عن ثمانية أميال من وليلي. ويعتقد سكان زرهون وعدد من المؤرخين اعتقادا جازما أن فرعون عزيز مصر في عصر (موسى عليه السلام) هو الذي بنى هذه المدينة، وأطلق عليها اسمه، ولا يبدو هذا صحيحا، لأنه لا يقرأ في أي مكان أن فرعون والمصريين حكموا هذه المنطقة إطلاقا... أما بالنسبة إلي فإن بعض الحروف اللاتينية التي تقرأ على الجدران أكدت لي يقينا بأن مؤسسيها هم الرومان، ويمر حول المدينة نهران صغيران... وكل الشعاب والتلال المحيطة بها مغروسة بالزيتون...»[22]، وجاء عند مارمول كاربخال أن[23] «... وليلي أو (تيوليت)، مدينة قديمة أسسها الرومان على قمة الجبل الذي تحدثنا عنه منذ قليل، وهي محصنة بأسوار متينة من الحجر المنحوت تربو دائرتها على فرسخين، دمرها أولا المكناسيون، ثم أعاد بناءها إدريس والد مؤسس فاس الأول، فجعلها عاصمة الإقليم كله. كانت تدعى آنذاك (بوليبيل) لكن منذ أن شيدت فاس وأفل نجم هؤلاء

(20) بعد هذه المرحلة تحول اسم وليلي إلى قصر فرعون كما هو وارد عند الحسن الوزان وابن غازي وآخرين. وهناك من المصادر اللاحقة من وطنها في قصبة النصراني، هذه المطابقة لا يمكن اعتمادها لأن هذه القصبة تبعد بحوالي 14 كلم عن مولاي ادريس. ومع ذلك فإن عددا من المؤشرات تؤكد مطابقة قصر فرعون مع وليلي.

(21) الوزان الحسن بن محمد (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، الجزء الأول، ص. 295.

(22) نفسه، ص. 296.

(23) مارمول كربخال، إفريقيا، الجزء 1، ص. 182.

الأمراء، فقدت كثيرا من ازدهارها الأول، ودمرها أخيرا الملك المرابطي يوسف، فلم يعد لها عمران بعده ذلك لأن السكان (أي زواغة) انتشروا في أنحاء الجبل، وأقاموا في شتى الأماكن، فلم يبق سوى خمسة أو عشرين دارا حول المسجد، يسكنها بعض الفقهاء تشريفا لضريح يتمتع بتقدس كبير بين هؤلاء البربر، ويحجون إليه من جميع أطراف موريطانيا. وفي وسط المدينة عينان نضحتان، ينحدر ماؤهما إلى الشعاب، حيث توجد مساكن زواغة وممتلكاتهم...». ويضيف في جهة أخرى «... توجد على أحدى قمم هذا الجبل، على بعد ثلاثة فراسخ من وليلي مدينة أخرى صغيرة أسسها القوط... ويسميها أشهر المؤرخين قصور زرهون... وقد دمرت هي ووليلي في آن واحد...»[24].

يتضح من هذين النصين، أن المقصود بوليلي هو مولاي إدريس زرهون في حين أن قصر فرعون هو الذي يمكن مطابقته مع المدينة الرومانية وليلي. ونفس التقسيم نجده عند **مارمول كاربخال** الذي ميز بين مدينتين، من جهة أخرى فمن مقارنة ما ورد عند المؤرخين نقف على التشابه الكبير في وصفهما للموقعين، مما يطرح إمكانية اعتمادهما على مصدر واحد، أو أن مارمول كان قد أخذ عن الحسن الوزان، غير أنه من الأكيد أن كلا المؤلفين لم يعاينا ما كانا يصفان[25].

وورد عند الجزنائي (ت. في النصف الثاني من القرن الثامن) : «... ثم إلى بلد وليلة قاعدة زرهون واستجابت له قبائل البربر وعلى أمره وشاع خبره، وهذه البلدة قديمة البناء يذكر أنها من بناء القبط وهي المعروفة الآن بقصر فرعون من أرض أولاد تعلو الأوربيين، وهي متوسطة بين العمارات خصيبة كثيرة المياه والغروس والزيتون، وكان لها سور عظيم قد بقي بعضه...»[26].

---

(24) نفسه، ص. 183.

(25) EUSTACHE (D.), *Etudes sur la numismatique et l'histoire monétaire du Maroc I, Corpus des dirhams idrissides et contemporains*, Rabat, 1970-1971, p. 168, note 13

(26) علي الجزنائي، جنى زهرة، ص. 13.

ويتوافق أبو القاسم الزياني (1147-1249هـ)، نسبيا مع إشارة البكري في أن «... مدينة تاجة وهي طنجة وهي المسماة بوليلة أيضا...»[27] وفي مكان آخر «... ثم مدينة وليلي قرب زرهون...»[28].

كما قدم جون ويندوس تحديدا للموقع وجعله «... على بعد فرسخ تقريبا من هذه المدينة، فوق مرتفع معتدل، توجد بعض بقايا بناية رفيعة وقديمة جدا يسميها المغاربة قصر فرعون...»[29].

وننهي تقديم هذه النصوص بما أورده صاحب الاستقصا (ت. 1897م) الذي تحدث عن وليلي خلال وصفه لحملة عقبة على المغرب الأقصى «... فنزل [عقبة] على مدينة وليلي بإزاء جبل زرهون وهي يومئذ من أكبر مدن المغرب... وهذه المدينة هي المسماة اليوم في لسان العامة بقصر فرعون...»[30].

إن تصنيف هذه النصوص يمكننا من تقديم عدة استنتاجات، منها إمكانية التمييز بين وليلة ووليلي. فالكلمة الأولى وردت في المصادر التي تعود للقرنين التاسع والعاشر الميلاديين، أما كلمة وليلي فتعود للنصوص المتأخرة نسبيا عن هذه الفترة. حدد بعض الدارسين إطار هذا التحول الزمني في القرن الحادي عشر[31]. إضافة إلى هذا الاختلاف، فقد تمت مطابقة اسم المدينة مع طنجة كما يتجلى من خلال إشارات الحميري والبكري والزياني، حيث اعتبر كل من الحميري والبكري أن وليلي تعني في اللغة الأمازيغية طنجة، إذ ورد عند البكري «... وكان نزول إدريس عند دخوله المغرب بوليلي،ووليلني وهي طنجة بالبربرية...»[32]، أما الحميري فيتحدث عنها

(27) أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار العالم برا وبحرا، تحقيق وتعليق عبد الكريم الفيلالي، الرباط، 1967، ص. 476.

(28) نفسه، ص. 477.

(29) جون ويندوس، رحلة إلى مكناس، ترجمه عن الإنجليزية زهراء إخوان، المحمدية، 1993، ص. 70.

(30) الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب الدار البيضاء، 1954، الجزء الأول، ص. 82.

(31) EUSTACHE (D.), *Etudes*, op.cit., p. 162

(32) أبي عبيد الله البكري، م.ش.، ص. 118.

كالآتي «... وبين طنجة وسبتة ثلاثون ميلا في البر وفي البحر نصف مجرى وتعرف بالبربرية وليلي...»[33] وبذلك فإن المقصود بهذا التعريف هو مدينة طنجة.

وإذا كان صاحب الاستبصار قد تحدث عن وليلي كمدينة رومية بطرف جبل زرهون فقد اعتبرها تيسرة «... فنزل به [أي بإدريس الأول] في مدينة وليلي وكانت مدينة رومية قديمة بطرف جبل زرهون في الغرب منه، وتسمى الآن تيسرة...»[34]، مع العلم أن هذا الموضع لا يتطابق حاليا مع المجال الذي توجد فيه مدينة وليلي. ونجده يعرض أثناء وصفه، إلى مواقع أخرى حملت اسم وليلي، حيث تحدث عن ملاحة بنفس الاسم في بلاد جدالة «... ومعدن الملح أيضا في بلاد جدالة بموضع يسمى وليلي، على شاطئ البحر المحيط...»[35] هذه الإشارة نجدها كذلك عند الإدريسي، إذ يتعلق الأمر بمدينة تحمل اسم أوليل، وهي عبارة عن جزيرة «... في البحر وعلى مقربة من الساحل وبها الملاحة المشهورة ولا يعلم في بلاد السودان ملاحة غيرها...»[36].

من المعلومات الأخرى التي تزودنا بها النصوص حول تأسيس المدينة، تلك التي وردت عند ابن سعيد الغرناطي الذي اعتبرها عاصمة المغرب قبل الفتح الإسلامي[37]، بل إن الزياني ذهب إلى أن وليلي أسست سنة 99هـ/ 717م–718م من طرف أمير أوربة قبل اعتناق القبيلة للإسلام، وقد وطن المدينة قرب زرهون[38]. حول هذا التاريخ الوارد عند أوسطاش، نعرف أن إدريس الأول قد نزل بوليلي سنة 172هـ. وكان وقتها عبد الحميد معتزليا فكيف يبني مدينة سنة 99هـ. ويبايع المولى إدريس سنة

---

(33) محمد بن عبد المنعم الحميري، م.س.، ص. 120.

(34) مجهول الاستبصار، ص. 194.

(35) نفسه، ص. 214.

(36) الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني)، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص. 17.

(37) ورد عند :

FAGNAN (E.), *Extraits inédits relatifs au Maroc*, trad. de l'arabe et annotés par Fagnan (E.), Alger, 1924, p.13

ZAYANI, Rihla cité par EUSTACHE (D.), *Etudes*, op.cit., p. 169, note 14. (38)

172، اللهم إلا إذا كان المقصود بذلك زعيم أوربي أخر قبل عبد الحميد. هذا التأسيس يرتبط بالفترة الإسلامية الأولى وليست له علاقة بماضي المدينة الروماني[39].

أما فيما يخص الإشارات المرتبطة بالمدينة خلال فترة الفتوحات والفترة الإدريسية، فقد ورد عند ابن خلدون[40] بمناسبة حديثه عن فتوحات عقبة «... ودخل المغرب الأقصى وأطاعته غمارة، وأميرهم يومئذ يليان. ثم أجاز وليلي ثم جبال درن...».

إذن، فخلال حملة عقبة وإخضاعه لغمارة دله زعيمها يوليان على النقط المهمة في المغرب آنذاك، إذ كما يفهم من النص فقد أشار عليه أن يتوجه إلى وليلي[41] والسوس والبلاد التي تخضع لسيطرة المصامدة. إن ذكر وليلي في المرتبة الأولى، ينم عن الأهمية التي كانت تحظى بها المدينة خلال هذه الفترة، فذكرها يعود من دون شك إلى أن يوليان، الذي كان يعرف المغرب جيدا قد اعتبرها مفتاح الجنوب[42].

وإذا كان عدد من المصادر قد أورد هذه الإشارة التي تخص زعيم الغمارة، فإن حدث مهاجمة المدينة من طرف الجيوش العربية، لم يرد في كل النصوص، إذ ينفرد

---

(39) حول التاريخ الذي يورده الزياني، نشير إلى أنه بالنسبة لانتشار الإسلام في المنطقة تفيد المعطيات المتوفرة أنه قد كان منتشرا في وليلي قبل وصول المولى إدريس إليها، على الأقل منذ حملة عقبة، فحرارة الاستقبال والالتفاف حوله ومبايعته إماما بعد ستة أشهر يفند المزاعم التي تجعل منها مدينة مسيحية، خلال هذه الفترة. فالمنطقة كانت قد عرفت انتشار الإسلام، وهو ما لم يحصل بالنسبة للمناطق المجاورة، انظر في هذا الصدد :

(LAROUI (A.), Histoire du Maghreb, Essai de synthèse, Paris, 1976, p. 100).

من جهة أخرى تلقي المعطيات الأركيولوجية الضوء على هذه المسألة، فخلال حفريات المدينة، موسم 1988، عثر في أحد الاستبارات على نقد مؤرخ ب 95هـ/715م ورد على أحد وجهيه «بسم الله ضرب هذا الدرهم بواسط في سنة خمس وتسعين، الشيء الذي وفر لنا تاريخا سابقا عن إسلام وليلي، أنظر :

GOUMARI (M. K.), *La céramique des niveaux Islamiques de Volubilis (Essai stratigraphique et typologie)*, Mémoire de fin d'études du 2ème cycle, année 1990-1991, p. 65 et 76.

(40) ابن خلدون، م.س.، الجزء السادس، ص. 217.

(41) مع أن المدينة قد ورد ذكرها في عدد من النصوص خلال حملة عقبة، فإنه من الصعب تحديد دورها خلال الأحداث التي عرفها المغرب بعد هذه الفترة.

(42) BERTHIER (P)., *Essai sur l'histoire du massif de Moulay Idris*, Rabat, 1938, p. 51.

ابن خلدون بذكر فتح وسبي المدينة «... ثم رحل إلى طنجة فأطاعه يوليان... ودله على بلاد البربر وراء المغرب مثل وليلي عند زرهون... فسار عقبة وفتح وغنم وسبى...»[43].

كما تضمنت النصوص كذلك إشارات تخص استقرار قبيلة أوربة بوليلي، وهو ما يقتضي تحديد علاقة المدينة بهذه القبيلة.

ذهب البعض من الباحثين إلى التقريب بين Ouerbikai/Quereis، القبيلة الواردة عند بطليموس، وقبيلة أوربة، إذ جعلوها تنحدر من هذه القبيلة[44]. كما قرب البعض الآخر منهم بين اسم كسيلة وأسرة كايكليوس (Caecilius) التي ورد اسمها على العديد من نقائش وليلي[45]، والتي اعتبرت وليلية

(43) ابن خلدون، م.س.، الجزء الرابع، ص. 399.

(44) فقد أوردت بعض الدراسات اختفاء عدد من القبائل التي كانت سائدة خلال الفترة القديمة والتي وردت أسماؤها في العديد من المصادر سواء المكتوبة أو المنقوشة الشيء الذي يجعل من الممكن أن تكون قبيلة أوربة قد خلفت قبيلة البكواط في المغرب الأقصى :

LENOR (M.), DE Kairaouan à Volubilis, Mélanges offerts à N. de la Blanchardière, Rome, E. F. Rome, 1995, p. 215.

كما ركزت بعض المحاولات الأخرى على التقريب بين اسم هذه القبيلة وبين قبيلة الوربيكاي حيث يوجد نفس جذر "wrb" :

MORIZIOT (P.), Awerba, dans Encyclopédie berbères, VIII, Aix-en Provence, 1990, p. 1192

خاصة وأن اتساع مجال هذه القبيلة قد عززته بعض المصادر الأثرية، فقد كشفت الحفريات في وليلي عددا من النقائش تفيد وجود علاقات بين المدينة والمغرب الجزائري خلال فترة متأخرة : انظر حول هذه النقطة :

CAMPS (G.), Rex gentium maurorum et romanorum. Recherche sur les royaumes de Maurétanie des VIes et VIIe siècles, dans *Ant. afr.*, 1984, t. 20, pp. 183-218 ; ID., De Masuna à Koceila, les destinées de la Maurétanie aux VI et VII siècles, dans *Histoire et Archéologie de l'Afrique du nord, 2ème colloque International* (Grenoble 1983), dans *B.C.T.H.*, n.s., 19B., 1985, pp. 307-324.

AKERRAZ (A.), Les rapports entre la Tingitane et la Césarienne à l'époque post-romaine, dans *l'Africa Romana, atti del XII convegno di studio, Olbia, 12-15 dicembre 1996*, pp. 1435-1439.

LENOIR (M.), DE Kairaouan à Volubilis, Mélanges offerts à N. de la Blanchardière, Rome E.F. Rome, 1995, pp. 207-224.

(45) COMPS (G.), Rex gentium, op. cit., t. 20, 1984, pp. 183-218 ; LENOIR (M.), De Kairouan à Volubilis, op. cit., p. 209.

الأصل[46]. فقد أحكمت سيطرتها على مجال واسع يمتد بين ألطافا ووليلي، مثلت فيه هذه المدينة الأخيرة أهم نقطة[47].

إن ذكر قبيلة أوربة في المصادر كان بمناسبة انتصار زهير بن قيس على كسيلة قرب القيروان سنة 64هـ/686م، الذي كانت أغلب جيوشه من هذه القبيلة. كما اعتبرت «إذ ذاك من أعظم قبائل بلاد المغرب وكانت لها مدن كثيرة منها مدينة سكومة على مقربة من فاس....»[48].

لقد طرح مجال استقرار هذه القبيلة عدة تساؤلات مرتبطة بالانتصارات العسكرية التي حققتها واندحار كسيلة الذي كان في إفريقية، الشيء الذي دفع إلى توطينها في الأوراس نظرا للتقارب بين أوراس وأوربة[49]. غير أن ما أورده ابن خلدون يلقي بعض الضوء على هذه المسألة «... وكانت البربر يومئذ في أوربة لكسيلة بن لمزم وكان على دين النصرانية، فأسلما لأول الفتح، ثم ارتدا عند ولاية أبي المهاجر... وزحف إليهم أبو المهاجر حتى نزل عيون تلمسان فهزمهم، وظفر بكسيلة فأسلم واستبقاه...»[50].

يستفاد من كل هذا أن أبا المهاجر وصل إلى تلمسان وأسر كسيلة الشيء الذي يفهم منه أن هذا الزعيم الأوربي كان في المغرب الأقصى وليس في الأوراس[51]، وأنه بعد هذا التاريخ سيستقر فرع من القبيلة عند قدم الأوراس، وهذا الاستقرار كان ظرفيا،

---

(46) لقد مثلت عائلة الكايكيليين بين عائلات وليل نسبة 40% :

CHRISTOL (M.), Les hommages publics de Volubilis : Epigraphie et vie municipale dans *l'Africa Romana, Atti del III convegno di studio sassari, 13-15 dicembre, 1985*, pp. 83-96.

(47) LENOR (M.), De Kairouan à Volubilis, op. cit., p. 223

(48) مؤلف مجهول الاستبصار، م.س.، ص. 194.

(49) MORIZIOT (P.) Awerba, op. cit., p. 1192.

(50) عبد الرحمن بن خلدون، .س.، الجزء السادس، ص. 216.

(51) وتأكيدا لهذا الرأي فقد اعتبر البعض أن كسيلة كان يستمد قوته من مناطق توجد أكثر في اتجاه الغرب :

COMPAS (G.), De Masuna à Koceila, les destinées de la Maurétanie aux VI et VII siècles dans *Histoire et Archéologie de l'Afrique du nord, 2ème colloque International (Grenoble 1983)*, dans *B.C.T.H., n.s. 19B*, 1985, pp. 307-324.

إذ ارتبط بسيطرة كسيلة على القيروان[52]. على هذا الأساس فهذه التفرقة ترتبط بالهزيمة التي تعرضت لها القبيلة خلال هذا التاريخ، فمجال أوربة كما يوضحه زحف أبي المهاجر دينار كان عند تلمسان، الشيء الذي يبعد فكرة وجودهم في الأوراس[53]. وفي نفس الاتجاه نشير إلى أن كسيلة كان قد تولى قيادة تحالف قبلي يضم أهم قبائل البرانس، أوربة هوارة وصنهاجة وكتامة، وهي قبائل تنتشر في مجال يمتد بين تلمسان والمغرب الأوسط[54] فلو كان هؤلاء مع كسيلة في الأوراس لما فروا وراء ملوية بعد هزيمة «ممس»[55]، إذن فتوطين أوربة والقبائل الخاضعة لكسيلة بين تلمسان والمغرب الوسط، يتطابق إلى حد بعيد مع الإشارات الواردة في النصوص، فالبكري مثلا تحدث عنها حوالي سنة 711 قرب فاس في مدينة سقوما[56].

بعد هذه المعركة عرف تاريخ هذه القبيلة تحولا مهما التجأت خلاله إلى المغرب الأقصى واستقرت بوليلي. ويورد ابن خلدون أنه بعد هذه المعركة «... خضدت شوكة أوربة من بينهم، واسترق جمهورهم بديار المغرب الأقصى فلم يكن بعدها لهم ذكر واستولوا على مدينة وليلي بالمغرب...»[57] ويظهر أن اختيار اللجوء إلى وليلي يزكي الارتباط بالجذور السابقة للقبيلة، فالمسألة لا تتعلق بالاستيلاء وإنما بالرجوع للموطن الأصلي للقبيلة[58].

نسجل في هذا المجال صمت النصوص عن أسباب استقرار هذه القبيلة في المدينة. غير أن البعض من الباحثين[59] حاول أن يجد لذلك تفسيرا يعود إلى قوة

(52) SIRAJ (A.), *L'image de la Tingitane, L'historiographie arabe médiévale et l'antiquité nord-africaine*, Rome. Coll.E.F. Rome, 1995, pp. 515-516.

(53) مع أن غوتييه لا يقر بوجود ما يؤكد توطين قبيلة أوربة في الأوراس إلا أنه يتحدث في مكان آخر عن أوراس غربيين :

GAUTHIER (E F), *Le passé de l'Afrique du Nord, Les siècles obscures*, Paris, 1937, pp. 303-304.

(54) لقد حددها دوفورك على الحدود المغربية الجزائرية :

DUFOURCQ (CH.E), Berbérie et Ibérie médiévales, un problème de rupture, R.H., t.62, n CCXL 1968, p. 203.

(55) MORIZIOT (P.) Awarba, op. cit., p. 1192.

(56) أبو عبيد الله البكري، م.س.، ص. 117.

(57) عبد الرحمن بن خلدون، م.س.، الجزء السادس، ص. 300.

(58) SIRAJ (A.), L'image, op. cit., p. 525

(59) BERTHIER (P.), Essai, op. cit., pp. 51-52 ; GAUTHIER (E F), *Le passé de l'Afrique du Nord*, op. cit., p. 279.

جدب هذا المركز الروماني اللاتيني، فهذا الاختيار يعود إلى أنها كانت مشبعة بالحضارة اللاتينية والمسيحية التي كانت وليلي مركزا لإشعاعها. وستتأكد قوة جدب هذا المركز الروماني في كونه سيستقبل إدريس بن عبد الله، الذي استقر فيه ووضع دعائم دولة إسلامية[60]. ومع ذلك فمنذ وصول هذه القبيلة إلى وليلي لم ترد بصددها أية إشارة حتى مجيء إدريس الأول، وبعده بدأت تتحدث عنها النصوص كقبيلة مسلمة على المذهب المعتزلي[61].

هكذا فحوالي القرن الميلادي السابع استقرت في وليلي، وخبا ذكرها حسب ما يفهم من إشارات المصادر، و لم تعد إلى مسرح الأحداث إلا مع نهاية القرن الميلادي الثامن، حيث ظهر تأثيرها واضحا في قيام الدولة الادريسية، فهي أول من اعترف بإمامة إدريس الأول، وتبعها في ذلك عدد من القبائل[62]. لقد ظلت هذه القبيلة وفية للأدارسة إلى أن زال دورها بذهاب دورهم، وكأن وجودها قد ارتبط فقط بالأدارسة[63].

دخلت وليلي بعد ذلك مرحلة من النسيان و لم يبدأ الاهتمام بهذا الموقع إلا خلال القرن الثامن عشر خاصة بعد زيارته من قبل جون ويندوس أحد أعضاء البعثة الإنجليزية إلى العاصمة مكناس على عهد مولاي إسماعيل سنة 1721. وستتوالى مواسم الحفر في وليلي منذ بداية القرن العشرين، 1915 إلى الآن.

---

(60) BERTHIER (P.), Ibid., p. 51.

(61) اعتبرت العديد من النصوص إدريس الأول معتزليا الشيء الذي يفيد أن هذه الجهة التي استقبلته كانت خارجة عن نفوذ الخوارج، خاصة منهم الصفرية والإباضية. يذكر البكري «... فنزل [إدريس] على إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي المعتزلي...»، ص. 118، كما ورد في روض القرطاس «... فنزل بها إدريس رضي الله عنه على صاحبها عبد الحميد الأوربي المعتزلي، أنظر أبو الحسن بن عبد الله بن أبي زرع، م.س.، ص. 22.

(62) عبد الرحمن بن خلدون، م.س.، الجزء الرابع، ص. 24 : «... زواغة ولواته وسدرته وغياثه ونفزه ومكناسة وغمارة وكافة البربر...».

(63) إلا أنه رغم ولاء هذه القبيلة التام للأدارسة فإنها مع زوال ملكهم مالت إلى الفاطميين، يتجلى ذلك في أسر آخر الأدارسة سنة 926م من طرف القائد أحمد بن حمدان الحمداني، وتجب الإشارة مع ذلك إلى امتناع هذا الأخير عن تسليمه للفاطميين، وقد حصل مقابل هذا الأسر على إدارة مدينة فاس : MORIZIOT (P.), Awerba, op.cit., p. 1193

موقع وليلي الأثري



المؤلف

العيوض, سيدي محمد

المصدر

مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية

العدد

المجلد 2011, العدد 31 (31 ديسمبر/كانون الأول 2011), ص ص. 183-196, 14ص.

الناشر

جامعة محمد الخامس أكدال كلية الآداب و العلوم الإنسانية

تاريخ النشر

2011-12-31

دولة النشر

المغرب

عدد الصفحات

14